174824 ـ ترجمة السلطان المغولي " أورنك زيب " وهل كان سلفيَّ العقيدة

السؤال

بارك الله فيكم ورفع درجاتكم في الدنيا والآخرة . أرجو منكم التكرم بإجابة هذا السؤال : ما حقيقة " أورنك زيب " (الامبراطور المغولي الذي حكم الهند) ؟ وهل كان من أتباع منهج أهل السنَّة والجماعة (السلف) ؟ أم أنه كان كباقي الأباطرة المغول ؟ .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

السلطان " أورنك زيب " هو أبو المظفر محي الدين محمد " عالَم كير " ، سلطان مملكة شبه القارة الهندية وما حولها ، وهو أحد أحفاد " تيمور لنك " الطاغية المغولي المعروف ، ولد في 15 من ذي القعدة عام 1028هـ ـ يوافق 24 من أكتوبر 1619م ـ ، وتوفي في 28 من ذي القعدة عام 1118 هـ ـ يوافق 20 من فبراير 1707م ـ .

و " أُورنْك زِيْب " – ويقال " أورنج زيب " ـ معناها بالفارسية " زينة العرش " ، فـ " أورنج " معناها : عرش ، و " زيب " معناها : زينة ، وأما " عالَم كير " فمعناها بالفارسية : فاتح العالم .

وهو ابن السلطان " شاه جيهان" أحد أعظم سلاطين دولة المغول المسلمين فى الهند , وهو الذي بنى مقبرة " تاج محل " الشهيرة التى تعد من العجائب ، ليدفن فيها زوجته الشهيرة باسم " ممتاز محل " – والدة السلطان أبي المظفر ـ والتي فُتن بحبِّها ، ومن شدة حزنه عليها لم يعد صالحاً للملك ، فتولَّى ابنه السلطان أبو المظفر الملك في حياته بعد معارك مع إخوته .

لم يكن السلطان " أورنك زيب " كباقي سلاطين المغول ، بل المعروف من سيرته أنه كان عالِماً عابداً زاهداً تقيّاً شاعراً ، وكان حنفي المذهب في الفروع ، فهو ليس كباقي سلاطين المغول ، بل هو خير منهم جميعاً .

ومن أفعاله الجليلة : أنه حارب البدع والخرافات ، وترك الاستماع للموسيقى والغناء ـ مع أنه كان من الماهرين بهما ـ وأبطل الاحتفالات الوثنية والبدعية ، كما أبطل عادة الانحناء وتقبيل الأرض مما كان يُفعل للملوك قبله ، وأمر أن يحييه الناس بتحية الإسلام " السلام عليكم " ، ولعلَّ هذا ما جعل بعض الكتَّاب من الحاقدين على الإسلام يصفه بالتعصب ! ومن الممكن أن هذا جعل بعضهم يظنه " سلفيّاً " ـ وهو في هذه الأبواب كلها سلفي ولا شك ـ والواقع أنه – رحمه الله – كان حنفيَّ

المذهب ، والمعروف عن الحنفية في تلك البلاد أنهم ماتريدية في أبواب العقائد ، وقد ذكر كثير ممن ترجم له أنه كان متصوفاً ، فالله أعلم بحاله واعتقاده ، فليس هناك شيء نعلمه عنه بيقين ، والمشتهر في ترجمته هو أفعاله وصفاته كتعبّده وزهده وديانته ، فقد ذكر مترجموه فيها أشياء كثيرة حميدة ، فإذا أضيف إليها محاربته للبدع والخرافات ، وقضاؤه على الدويلات الرافضية ، ومنعه للاحتفالات البدعية والوثنية تبيَّن أنه ملك يستحق الاحترام والتقدير والدعاء بخير ، وما فعله – رحمه الله – هو تطبيق عملي لمنهج السلف في الحُكم وهو ما دعا بعض الأدباء – وهو الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله – أن يطلق عليه " بقية الخلفاء الراشدين " ، وقد ترجم له ترجمة جليلة في كتابه " رجال من التاريخ " (ص 227 – 237) ، وقد ختمها بقوله :

ووفِّق إلى أمرين لم يسبقه إليهما أحد من ملوك المسلمين :

الأول: أنّه لم يكن يعطى عالما عطية أو راتبا إلا طالبه بعمل , بتأليف أو بتدريس , لئلا يأخذ المال ويتكاسل , فيكون قد جمع بين السيئتين , أخذ المال بلا حق ، وكتمان العلم .

الثاني: أنّه أول من عمل على تدوين الأحكام الشرعية فى كتاب واحد , يُتخذ قانونا فوضعت له وبأمره وبإشرافه ونظره "الفتاوى التي نُسبت إليه فسميت " الفتاوى العالمكيرية " واشتهرت بـ " الفتاوى الهندية " من أشهر كتب الأحكام في الفقه الإسلامي وأجودها ترتيباً وتصنيفاً .

" رجال من التاريخ " (ص 236) .

ومن أقرب مَن ترجم للسلطان مِن أهل عصره – ووصفه بالتصوف ـ أبو الفضل محمد خليل بن علي المرادي – رحمه الله – توفي 1206 هـ ـ وقد قال في ترجمته :

سلطان الهند في عصرنا ، وأمير المؤمنين وإمامهم ، وركن المسلمين ونظامهم ، المجاهد في سبيل الله ، العالِم العلامة ، الصوفي العارف بالله ، الملك القائم بنصرة الدين ، الذي أباد الكفار في أرضه ، وقهرهم وهدم كنائسهم ، وأضعف شركهم ، وأيد الإسلام وأعلى في الهند مناره ، وجعل كلمة الله هي العليا ، وقام بنصرة الدين ، وأخذ الجزية من كفار الهند ولم يأخذها منهم ملك قبله لقوتهم وكثرتهم ، وفتح الفتوحات العظيمة ، ولم يزل يغزوهم ، وكلما قصد بلداً سلكها ، إلى أن نقله الله إلى دار كرامته وهو في الجهاد ، وصرف أوقاته للقيام بمصالح الدين وخدمة رب العالمين من الصيام والقيام والرياضة التي لا يتيسر بعضها لآحاد الناس فضلاً عنه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وكان موزعاً لأوقاته : فوقت للعبادة ، ووقت للتدريس ، ووقت لمصالح العسكر ، ووقت للشكاة ، ووقت لقراءة الكتب والأخبار الواردة عليه كل يوم وليلة من مملكته ، لا يخلط شيئاً بشيء .

والحاصل : أنه كان حسنة من حسنات الزمان ، ليس له نظير في نظام سلطنته ولا مُدانِ ، وقد أُلِّفتْ في سلطنته وحسن سيرته الكتب الطويلة بالفارسية غيرها فمن أرادها فليطلع عليها .

" سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر " (4 / 113) .

ثم قال – بعد ذلك ـ :

واشتغل بالمملكة من سنة ثمان وستين وألف ، وأراد الله بأهل الهند خيراً ؛ فإنه رفع المظالم والمكوس ، وطلع من الأفق الهندي فجره ، وظهر من البرج التيموري بدره ، وفلك مجده دائر ، ونجم سعده سائر ، وأَسَر غالب ملوك الهند المشهورين ، وصارت بلادهم تحت طاعته ، وجُبِيَت إليه الأموال ، وأطاعته البلاد والعباد ، ولم يزل في الاجتهاد في الجهاد ، ولم يرجع إلى مقر ملكه وسلطنته بعد أن خرج منه ، وكلما فتح بلادا ، أشرع في فتح أخرى ، وعساكره لا يحصون كثرة ، وعظمته وقوته لا يمكن التعبير عنها بعبارة تؤديها حقها ، والملك لله وحده ، وأقام في الهند دولة العلم وبالغ في تعظيم أهله حتى قصده الناس من كل البلاد .

والحاصل : أنه ليس له نظير في عصره في ملوك الاسلام في حسن السيرة والخوف من الله سبحانه والجد في العبادة .

وأمر علماء بلاده الحنفية أن يجمعوا باسمه فتاوى تجمع جل مذهبهم مما يحتاج إليه من الأحكام الشرعية فجمعت في مجلدات وسماها بـ " الفتاوى العالمكيرية " واشتهرت في الأقطار الحجازية والمصرية والشامية والرومية ، وعمَّ النفع بها وصارت مرجعاً للمفتين ، ولم يزل على ذلك حتى توفي بالركن في شهر ذي القعدة الحرام سنة ثماني عشرة ومائة وألف ، ونقل إلى تربة آبائه وأجداده ، وأقام في الملك خمسين سنة رحمه الله تعالى .

" سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر " (4 / 113) .

وللتوسع في ترجمته – أيضاً ـ : يُنظر ما كتبه الأستاذ عبد المنعم النمر في كتابه " تاريخ الإسلام في الهند " (ص 286 – 288) .

والله أعلم